مخارج الحروف عند صبحي الصالح

الطالب: كمال عمامرة
Kamel777nadjme@gmail.com
تخصص: دراسات لسانية جزائرية
إشراف الدكتور: قطاوي لخضر قدور
جامعة حسيبة بن بوعلي –شلف-(الجزائر)

الملخص:

مما لاشك فيه أن موضوع مخارج الحروف قد اختلف فيه العديد من الباحثين منذ عهد الخليل وسيبويه، ومَن جاء بعدهما كالقراء إلى غاية يومنا هذا، وهمهم في ذلك الاشتغال بتجويد تلاوة القرآن الكريم، من أجل إخراج كل حرف من مُخرجه وصفته اللازمة عند خروجه من موضعه، فالمخارج هي عند سيبويه ستة عشر مخرجا، وعند الخليل تسعة وآخرون قالوا سبعة عشر ، وعند الفراء أربعة عشر، لكن كلهم اتفقوا على أن ترتيب الحروف يبدأ من الحلق إلى الشفتين فكان ترتيبا تصاعديا، إلا أن بعض المحدثين أمثال كمال بشر وتمام حسان وإبراهيم أنيس وعبد الرحمن أيوب، وغيرهم كثر الذين سعوا إلى ترتيب مخارج الحروف من الشفتين إلى الحلق أي ترتيبا تنازليا، كما أنهم اختلفوا أيضا في عدد مخارجها منهم من عدها تسعة، وآخر عدها عشرة، والبعض الآخر قال أحد عشر مخرجا.

تطرقت في هذا البحث إلى إرصاء مواطن الاختلاف والاتفاق في مواضع حدوث الحرف المنطوق، متخذا علاَّمة لغوية رائدة في الدراسات اللسانية الحديثة ألا وهي صبحي الصالح، حيث وجدته قد خالف القدماء والمحدثين في توزيع وترتيب الحروف على مواضعها.

الكلمات المفاتيح: مخارج الحروف، سيبويه، الخليل، إبراهيم أنيس، صبحي الصالح.

Summary:

There is no doubt that the issue of the exits of letters has differed in many researchers since the era of el khalil and Sebwayeh, and came after them as readers to this day, and they are working to improve the recitation of the Koran, in order to remove each letter from the director and described the necessary when he left the position, And all of them agreed that the order of the letters starting from the throat to the lips was an ascending order, but some modernists such as Kamal Bishr, Tamam Hassan, Mahmoud Al-Saran and Abdul Rahman Ayoub, and many others who sought to arrange the hidden Letters from the lips to the throat of any descending order, as they also differed in the number of exits of them counted nine, and another count of ten, and eleven others said a way out.

In this research, I sought to establish the differences and agreement in the places where the operative character took place, taking a leading linguistic sign in the modern linguistic studies,

namely Subhi al-Saleh, where I found it contradicted the ancients and modernists in the distribution and arrangement of the letters on their positions.

Keywords:Exits of letters, Sebwayeh, al khalil, Ibrahim Anis, Subhi al- Saleh.

مقدمة:

إن الدراسات اللغوية الصوتية – سواء القديمة أو الحديثة– كثيرة متشعبة، فقد أدرك دارسوها أن علم الأصوات اللغوي يعتبر ركنا أساسيا من أركان أي لغة، وبما أنهم استعملوا مصطلح علم، فهم على دراية بأن لهذا العلم منهجا قائما، يعالج الظاهرة الصوتية ابتداء من أصغر وحدة صوتية.

فعندما يجتمع صائت مع صائت آخر يعطينا صائتا طويلا، وبالتالي نحن في المستوى الصوتي وهو أوَّل المستويات اللغوية، ثم عند اجتماع مقطع مع مقطع آخر يكوّن لنا مفردة أو كلمة فنَكُون في المستوى الثاني وهو المستوى الإفرادي، ثم عند اجتماع مفردة مع مفردة ثانية تعطينا جملة وهنا المستوى الثالث وهو المستوى التركيبي، وعند اجتماع جملة مع جملة أخرى تُكوّن لنا فقرة ونصبح في المستوى الرابع وهو المستوى الأسلوبي، أما الدلالة فنجدها في كل المستويات السابقة.

ويمكن القول أن المستوى الصوتي وهو أول المستويات قد نال حظا وافرا في الدراسات اللغوية فهو العلم الذي يدرس الأصوات من حيث صفاتها ومن حيث إخراجها، وعليه يمكن طرح السؤال التالي: ما هي مخارج الحروف عند صبحي الصالح، وهل أبقى هذا الأخير على توزيع وترتيب الحروف على مواضعها كما جاء به القدماء أو اتّبَع المحدثين المجددين؟

لقد أنتج لنا القدماء أعمالا ضخمة مثل (معجم العين، الكتاب، صناعة الإعراب، الخصائص....) وغيرها كثر، تطرقوا فيه إلى مختلف القضايا الصَّوتية، وعلى ما يبدو أن غيرتهم الشديدة على اللغة العربية واهتمامهم بلغة القرآن هو الهدف الأسمى الذي أدى بهم إلى تأليف مثل هذه الكتب، فلا توجد دراسة لغوية بجميع مستوياتها إذا لم تعط أهمية لعلم الأصوات فهي الممهدة للدراسة الصرفية والنحوية والمعجمية والأسلوبية والدلالية...، ولهذا انطلق القدماء من هذا المستوى، فقد أعطوا أهمية كبيرة لعلم الأصوات.

فالصَّوْتُ لغة: الجرس، وقد صات يصُوت ويَصاتُ صوتا، وأصات، وصوَّت به: كله نادى، ويُقال: صوَّتَ يُصَوِّتُ تصويتا، فهو مُصَّوت، وذلك إذا صوت بإنسان فدعاه، والصوت صوت الإنسان وغيره[1]

فالأصوات هي اللبنات الأولى في البناء اللغوي وأساسه الذي يقوم عليه، ولا خير في بناء تهالكت لبناته، واهتز قوامه، لو وَجَّهَ النَّاسُ– المتخصصين وغير المتخصصين– اهتمامهم إلى تعرف أصوات لغتهم واستيعابها مادة وصنعة، لساروا في الطريق الصحيح إلى إيجاد لغتهم والتمكن منها، الأمر الذي يقودهم في النهاية إلى الفوز بلغة تعكس شخصيتهم وتحكي أنماط أفكارهم وسلوكهم، فلعلم الأصوات أهمية عملية تطبيقية وذلك في تعليم اللغة القومية، واكتساب مهارة أدائها على وجه يحافظ على خصوصيتها ويحميها من اللكنات المتنافرة وبلبلة الألسن.[2]، فالعرب

كانوا حريصين كلَّ الحرص في الحفاظ على اللغة العربية، التي هي لغة القرآن وكلام الله الذي لا يجب أن يشوبه لُبسٌ عن طريقها، فكان على النحويين التفكير في منهج لغوي يصونه ويصونها.

وظائف الجهاز النطقي:

مما لا شك فيه أن الصوت اللغوي يَحدث في أعضاء الجهاز الهضمي والتنفسي، فالهواء الصاعد من الرئتين، والذي يمر بتجاويف الحلق واهتزاز الوترين الَّذَيْن إليهما يعود الجهر والهمس، فضلا عن الحنك الرخو أو ما يُصطلح عليه عند القدماء بالطبق، واللُّهاة في حركتهما عند التصويت بحرفي القاف والكاف، وتحريك اللسان وصولا إلى الشفتين، يُحدِث أصواتا متنوعة.

وقد سُئِل هنري مرة: من أين تتكلم؟ فقال : من بطني، فهذا مقبول من وجهة نظر رجل عادي، فالإنسان حين يتكلم يصدر أصواتا من تلك الأعضاء والأجهزة التي لها دخل في عملية إصدار الكلام.[3]

ويرى كمال بشر بأنه يجدر الإشارة إلى أن جهاز النطق بأعضائه وبِنيته الأساسية واحد عند الإنسان السَّوي وتفعيله يكون في طرائق توظيفه وفقا للبيئة اللغوية [4]، «...ولكن الضرورة الاجتماعية مضافة إلى الذكاء الإنساني خلقا وظيفة ثانوية لهذا الجهاز الحيوي، هي وظيفة النطق اللغوي»[5]

فالنطق لدى الإنسان تتداخل في إحداثه أعضاء الجهاز التنفسي وأعضاء الجهاز الهضمي للإنسان من أجل إحداث الأصوات.

يمكن أن نقول بأن سيبويه لم يخص الجهاز النطقي بدراسة مستفيضة، بل ذكر الأعضاء التي تُحدِث الصوت، ولا ربما أن سيبويه لم يصف الجهاز النطقي في كتابه لأنه لم يدري كيف هي معالم هذا الجهاز من الداخل، ما عدا الأعضاء الظاهرة منه كاللسان واللهاة والأضراس ...، أما الرئتان وباقي الأعضاء التي بواسطتها تَحدُث الأصوات الإنسانية فلا يمكن رؤيتها، فالجهاز النطقي بدأت تظهر معالمه وأشكاله مع ابن سينا حين كان يشرِّح الأموات، وبالتالي أمكنه التعرف على أعضائه من الداخل، فأنتج لنا كتاب سماه بالقانون في الطب.

تعريف المخرج:

المخرج لغة:« موضع الخروج ».[6]

أما اصطلاحا: « نقطة معينة في المجرى عندها يتكون الصوت وعندها يضيق المجرى أو يتسع حسب طبيعة الصوت وطبيعته» [7]، « فإذا تم اعتراض الهواء في منطقة الحنجرة، سمى الصوت بأنه حنجري، هذا يعني أن الصوت يوصف بالمنطقة التي يعترض الهواء فيها» [8].

وإذا بحثنا في تراث اللغة العربية نجد أن الدراسات اللغوية الصوتية القديمة أولت اهتماما لمخارج حدوث الأصوات وحدوثها.

ويمكن القول بأن أبا الأسود الدؤلي هو أول من تطرق إلى موضع خروج الصوت، حين قال: « إذا رأيتني لفظت بالحرف، فضممت شفتي فاجعل أمام الحرف نقطة، فإذا ضممت شفتي بغنة فاجعل نقطتين، فإذا رأيتني قد

كسرت شفتيَّ فاجعل أسفل الحرف نقطة، فإذا كسرت شفتي بغنة فاجعل نقطتين، فإذا رأيت قد فتحت شفتي فاجعل على الحرف نقطة، فإذا فتحت شفتي بغنة فاجعل نقطتين»[9]

يبدو أن هناك اختلافا واضحا في مفهوم المخرج لغة واصطلاحا، ففي اللغة هو موضع الخروج، أما في الاصطلاح فهو المكان الذي يتكون فيه الصوت في الجهاز النطقي.

وللسيوطي رأي في ذلك فيقول« وهذا الكلام إنما هو حرف وصوت، فإن تركته سدى غفلا امتد وطال، وإن قطعه تقطَّع، فقطَّعوه وجزؤوه على حركات أعضاء الإنسان التي يخرج منها الصوت، وهو من أقصى الرئة إلى منتهى الفم، فوجدوه تسعة وعشرين حرفا لا تزيد على ذلك، ثم قسموها على الحلق والصدر والشفة واللثة.[10]

لكن السؤال المطروح هو كيف توّصل أجدادنا إلى تحديد مخارج الحروف أو الأصوات دون أن يمتلكوا آلات التسجيل الحديثة التي يستخدمها علماء الأصوات المحدثون؟، يجيبنا عصام نور الدين، « فاعلم أن اللغويين قد سموا هذه الطريقة بـ: (تذوق الحرف)، وكان تذوق الخليل بن أحمد الفراهيدي هذه الحروف بأن فتح فاه بالألف، ثم أظهر الحرف، وذلك نحو: إبْ، إتْ، إحْ، إغْ، إعْ...، أي كان يسكِّن الحرف (وهو صورة الصوت)، ويدخل عليه همزة الوصل مكسورة... ويتسمّعه، فحيث انقطع الصوت كان مخرجه المحقق، وحيث يمكن انقطاع الصوت، في الجملة، كان مخرجه المقدر...»[11]

ويعتبر الخليل أول من تعرض لمخارج الحروف بالتحديد والتفصيل، في مقدمة كتابه العين، ثم تبعه في ذلك النحاة والقراء، وكان له حس مرهف في تحديد مخارج الحروف، ولا غرابة في ذلك إذا علمنا أنه واضع علم العروض حيث وَجد أن « العين أدخل الحروف في الحلق، فجعلها أول الكتاب، ثم ما قَرُبَ منها الأرفع حتى أتى على آخرها وهو الميم»[12]

فالخليل لم يشأ أن يبدأ ترتيبه بالألف، فرتب أصوات العربية حسب مخارجها من الجهاز النطقي، « قال الخليل بن أحمد: حروف العربية تسعة وعشرون حرفا، منها خمسة وعشرون حرفا لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف يقال لها: جُوفٌ، الواو أجوف، ومثله الياء والألف اللينة والهمزة، سميت، جُوفا لأنها تخرج من الجوف فلا تخرج من مدرجة، وهي في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف، وكان يقول كثيرا: الألف اللينة والواو والياء هوائية، أي أنها في الهواء»[13].

فيبدو على الخليل أنه لم ينسب هذه الحروف إلى حيز من أحياز النطق، كاللسان أو الحلق أو اللهاة، فهي هوائية مبدؤها من الجوف، لذلك سماها بالهوائية.

« وقال ابن كَيْسان: سمعت من يذكر عن الخليل أنه قال: لم أبدأ بالهمزة، لأنها يلحقها النقصُ والتغيير والحذف، ولا بالألف، لأنها لا تكون في ابتداء كلمة ولا في اسم ولا فعل إلا زائدة أو مُبدلة، ولا بالهاء، لأنها مهموسة خفية لا صوت لها، فنزلت إلى الحيز الثاني، وفيه العين والحاء، فوجدت العين أنصع الحرفين، فابتدأت به ليكون أحسن في التأليف»[14]

وعلى هذا الأساس رتب الخليل معجمه العين وجعله في تسعة وعشرين حرفا منها خمسة وعشرين حرفا لها أحياز ومدارج، وأربعة هوائية، تخرج من الجوف.

وهذا هو ترتيب الخليل للحروف فيقول: « هذه صورة الحروف التي أُلفت منها العربية على الولاء، وهي تسعة وعشرونا حرفا: ع، ح، هـ، خ، غ، ق، ك، ج، ش، ض، ص، س، ز، ط، د، ت، ظ، ذ، ث، ر، ل، ن، ف، ب، م، فهذه الحروف الصحاح، وايء فهذه تسعة وعشرون حرفا منها أبنية كلام العرب.»[15]

يظهر أن الخليل كان على دراية تامة بأن هناك فرق بين المخرج والحيز والمدرج والمبدأ، فالمبدأ هو بداية الصوت في انطلاقه ونشأته من موضع أولي، ثم يتدرج في مسلك سماه المدرج، ولما كانت الأصوات متقاربة في مواضع النشأة والتكون جعل لها الخليل أحياز تنتمي إليها هذه الأصوات التي تخرج من الشفتين.

أما سيبويه فهو الآخر يرى بأن « أصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفا: الهمزة، والألف، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء، والكاف والقاف، والضاد، والجيم، والشين، والياء واللام، والراء، والنون، والطاء، والدال، والتاء، والصاد، والزاي، والسين، والظاء، والذال، والثاء، والفاء، والباء، والميم، والواو»[16].

إن كتاب سيبويه هو المجمل في زمانه الذي عالج اللغة العربية صوتيا بغية تبيين مدى تأثير المستوى الصوتي في باقي المستويات اللسانية.

يقول سيبويه « ولحروف العربية ستة عشرة مخرجا»[17]

1- أقصى الحلق أعلى الحنجرة: ء، هـ، ا

2- وسط الحلق: ع، ح

3- أدنى الحلق: غ، خ

4- أقصى اللسان وما فوقه من جهة الحَنك الأعلى: ق

5- أسفل اللسان من موضع القاف من اللسان قليلا ومما يليه من الحنك الأعلى: ك

6- وسط اللسان، بينه وبين الحنك الأعلى: ج، ي، ش.

7- من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس: ض

8- ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينهما وبين ما يليها من الحنك الأعلى وفويق الضاحك والناب والرباعية والثنية: ل

9- من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فُويق الثنايا: ن

10- من مخرج النون، غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام: ر

11- من بين طرف اللسان وأصول الثنايا: ط، د، ت.

12- من بين طرف اللسان وفويق الثنايا، ز، س، ص.

13- من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا: ظ، ذ، ث.

14- من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى: ف.

15- مما بين الشفتين: ب، م، و.

16- من الخياشيم، التجويف الأنفي: ن.

على ما يبدو أن توزيع الحروف عند سيبويه يختلف كثيرا عن توزيع أستاذه الخليل الذي هو كالآتي:

مخارج الأصوات عند الخليل[18]

1-الحلق: ع- ح- ه –خ –غ

2-اللهاة: ق- ك

3-شجر الفم: ج – ش- ض

4-أسلية: ص – س – ز

5-نطعية: ط – د- ت

6-لثوية: ظ – ذ- ث

7-ذلقية: ر – ل – ن

8-شفوية: ف – ب- م

9-هوائية: و- ا – ي –ء

فالخليل لم يشأ أن يبدأ ترتيبه بالألف، فرتب أصوات العربية حسب مخارجها من الجهاز النطقي، « قال الخليل بن أحمد: حروف العربية تسعة وعشرون حرفا، منها خمسة وعشرون حرفا لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف يقال لها: جُوفٌ، الواو أجوف، ومثله الياء والألف اللينة والهمزة، سميت، جُوفا لأنها تخرج من الجوف فلا تخرج من مدرجة، وهي في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف، وكان يقول كثيرا: الألف اللينة والواو والياء هوائية، أي أنها في الهواء»[19].

يمكن القول أن هناك اختلافا واضحا بين سيبويه وأستاذه الخليل في عدد المخارج وتوزيعها على مواضع حدوثها، فالخليل انطلق في توزيع الحروف من الهواء الصاعد من الرئتين في اتجاه الشفتين، ويوقفه في كل موضع ليحدد مكان هذا الصوت في الجهاز النطقي، وبالتالي قسم الحروف إلى قسيمن حروف لها أحياز ومخارج، وسماها الصحيحة، وحروف تخرج من الجوف، فهي هوائية، فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف[20]

التوزيع الصوتي عند صبحي الصالح:

يقول صبحي الصالح: « أن المعوَّل عليه في الحروف معرفة مخرجه لا صفته، لأن معرفة المخرج بمنزلة الوزن والمقدرا، ومعرفة الصفة بمنزلة المحك والمعيار» [21]، فيبدو أن صبحي الصالح يركز على أهمية دراسة مخارج الحروف من مواضعها أكثر من الإلتفات إلى تناول صفاتها.

« لقد اختلف العلماء في مخارج الحروف، فمال أكثر النحويين وأكثر القراء إلى أنها سبعة عشر مخرجا، تجمعها عشرة ألقاب فقط، وبهذا الرأي أخذنا لأنه أكثر شيوعا وأدق تفصيلا» [22]

فالتباين واضح في مخارج الحروف بين القدماء والمحدثين، ويمكن أن نلخص ترتيب وتوزيع مواضع صبحي الصالح كما يلي:

1- الأحرف الجوفية الهوائية: الألف، والواو الساكنة المضموم ما قبلها، الياء الساكنة المكسور ما قبلها.

2- الأحرف الحلقية: وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ- أقصى الحلق: الهمزة، الهاء.

ب-وسط الحلق: العين، والحاء.

ت-أدنى الحلق: الغين، والخاء.

3- اللهاة: القاف، والكاف.

4- الشجر: الجيم، الشين، الياء.

5- الذلق: اللام، النون، الراء.

6- النِطعُ: الطاء، الدال، التاء.

7- الأسلة: الصاد، السين، الزاي.

8- اللثوية: الظاء، الذال، الثاء

9- الشفوية (الشفهية): الفاء، الباء، الميم، الواو.

10- الخيشومية: ن

تلك هي مخارج الحروف والمعوّل عليها من قبل صبحي الصالح.[23]

لقد جمع صاحب هذا التقسيم بين عدة طرق، فقد تبع تقسيمات الخليل في الأحياز، واستبدل هذا المصطلح بالألقاب، ووزع الأصوات على مواضع حدوثها، ثم أضاف إليها مخرج الأصوات الجوفية مثلما جاء به الخليل.

فالمتمعن في ترتيب صبحي الصالح لمخارج الحروف يجده يتوافق مع سيبويه في تقسيم الحلق إلى ثلاثة أقسام وحتى في توزيع الحروف على مواضعه (أقصى الحلق – وسط الحلق- أدنى الحلق)، إلا أنه يضع الألف مع الحروف الجوفية مع الواو والياء فهي عنده جوفية هوائية.

والمتأمل في هذا التوزيع أيضا يجد أن صبحي الصالح قد وزع الأصوات على عشرة بدل ستة عشر مثلما فعل سيبويه، أو تسعة كما فعل الخليل فاختلف صبحي معهما في بعض المواقع واتفق معهما في أخرى من حيث التوزيع أو التسمية، حيث أنه يتفق مع سيبويه في توزيع الأصوات الحلقية (أقصى الحلق – وسط الحلق – أدنى الحلق).

أما موقع (ق) وموقع (ك) اللذان خصص لهما سيبويه موضعين بجعله أقصى اللسان وما فوقه من جهة الحَنك الأعلى لحرف (ق)، ومن أسفل اللسان قليلا مما يليه من الحنك الأعلى موقع (ك)، جعلهما صبحي الصالح أي (ق-ك) في موضع وموقع واحد وهو اللهاة، كما فعل الخليل في التوزيع والتسمية، ، والملاحظ أن صبحي الصالح يتوافق مع الخليل في توزيعه لهذين الحرفين.

ويتفق كل من صبحي الصالح مع سيبويه مع الخليل في توزيع كل من (ج-ش-ي)، التي قال عنها سيبويه أنها من وسط اللسان، لكن صبحي الصالح يتفق مع الخليل في التسمية حين قال عنها بأنها شجرية أي من شجر الفم، لكن يختلف معه في التوزيع فهي عند الخليل، (ج-ش-ض)

جعل سيبويه لكل من حرف (ل- ن- ر) موضع، بينما جعل صبحي الصالح الكل في موضع واحد وسماها بالحروف الذلقية، متبعا الخليل في التوزيع والتسمية.

يتفق مرة أخرى صبحي الصالح مع سيبويه والخليل في توزيع (ط- د- ت) التي جعلها سيبويه من بين طرف اللسان وأصول الثنايا، بينما سماها صبحي الصالح بالحروف النِطعية، متفقا مع الخليل في التوزيع والتسيمة أيضا.

نجد أيضا هناك اتفاق بين صبحي الصالح وسيبويه في توزيع (ص- س- ز)، حيث جعلها سيبويه من بين طرف اللسان، وفويق الثنايا، والتي سماها صبحي الصالح بالحروف الأسلية، متبعا الخليل في التوزيع والتسمية.

يتفق صبحي الصالح مع سيبويه والخليل في توزيع (ظ- ذ- ث) والتي جعلها سيبويه من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا، بينما سماها صبحي الصالح بالحروف اللثوية، متبعا الخليل في التسمية والتي موضعها ما بين ظهر اللسان مما يلي رأسه وبين الثنيتين العليين.

يختلف صبحي الصالح مع سيبويه والخليل في توزيع (ف- ب- م- و) التي جعلها صبحي الصالح في موضع واحد أي من الشفتين وسماها أيضا بالحروف الشفوية، بينما سيبويه جعل (ب- م- و) من الشفتين، أما (ف) فجعلها من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى، بينما عند الخليل الحروف الشفوية هي (ف-ب-م).

هذه مواطن الاتفاق والاختلاف بين صبحي الصالح وسيبويه والخليل في توزيع عدد الأصوات على مواضع نطقها في الجهاز الصوتي.

والملفت للانتباه أن صوت الضاد غير وارد في توزيع وترتيب صبحي الصالح، والتي جعلها سيبويه جانبية ممتدة على إحدى الجهتين من جانبي الأضراس، بينما حشرها المحدثون مع الأصوات الأسنانية أمثال محمد مبارك وكمال بشر هذا الأخير الذي سنحاول التطرق إلى رؤيته في مخارج الحروف ومواضعها.

كما يمكن القول أن ترتيب صبحي الصالح يشبه إلى حد بعيد ترتيب وتوزيع محمد مبارك[24]، الذي وزع هو الآخر مخارج الحروف إلى عشرة مخارج، لكن محمد مبارك أضاف مخرجا واحدا للضاد وحذف مخرج الخيشوم، وفي ذلك يقول : « وأعتبر أن الخيشوم ليس مخرجا، ولكن الهواء يخرج منه في الحروف التي تلحقها غنة»[25]

أما المحدثون الراغبون في التجديد أمثال: تمام حسان[26]، وعبد الرحمن أيوب[27]، وسمير شريف إستيسية[28] ، ومحمد الأنطاكي[29]، وكمال بشر[30] فكان لهم رأي آخر في مخارج الحروف حيث يقول هذا الأخير: « وسنراعي في الترتيب الجديد أن نذكر كل مجموعة من الأصوات المتحدة المخرج والحيز على حدة»[31]

ويعد كمال بشر مخارج الحروف أحد عشر مخرجاً، هي:

1- أصوات شفوية، وهي الباء والميم. وكثيرا ما يشار إلى الواو أيضا (في نحو وعد) بأنها شفوية.
2- أسنانية شفوية، وهي الفاء.
3- أسنانية، أو أصوات ما بين الأسنان، وهي الثاء والذال والظاء.
4- أسنانية-لثوية، وهي: التاء والدال والضاد والطاء واللام والنون.
5- لثوية، وهي: الراء والزاي، والسين والصاد، وبشر يلاحظ بأن مخرجي 4 و5 متقاربان، لدرجة يصعب معها أحيانا التفريق بينهما
6- أصوات لثوية- حنكية، وهي: الجيم الفصيحة والشين.
7- أصوات وسط الحنك، وهي الباء، ويرى بشر أن بين الياء والجيم والشين قربا شديدا في المخرج.
8- أصوات أقصى الحنك، وهي: الخاء والغين والكاف والواو.
9- أصوات لهوية، وهي القاف، كما ننطقها اليوم في اللغة الفصيحة لا في اللهجات العامية.
10-أصوات حلقية، وهي: العين والحاء.
11-أصوات حنجرية، وهي: الهمزة والباء.[32]

هذه هي مخارج أو مواضع النطق كما يراها كمال بشر، مرتبة ترتيبا تنازليا، وتبعه في ذلك تمام حسان[33]، وجان كانتينو[34] ومحمد الأنطاكي في كتابه دراسات في فقه اللغة[35]، هذا الأخير الذي اتفق مع كمال بشر في عدد مخارج الحروف وفي ترتيبها رغم اختلاف طفيف في التوزيع، فكمال بشر يرى أن « ابن جني (وغيره) قد تأثروا بطريقة الخليل بن أحمد فرتبوا الأصوات (والمخارج كذلك) ترتيبا يخالف المألوف الآن، إن ترتيبهم ترتيب تصاعدي، أي أنه يبدأ من أقصى الحلق إلى الشفتين، والترتيب الشائع الآن (هو ما لاحظناه عند بيان مواضع النطق) يبدأ من الشفتين راجعا إلى الخلف حتى الحنجرة»[36].

ويبدو أن صبحي الصالح كان على دراية عندما انطلق في ترتيب وتوزيع الحروف تصاعديا، فخروج الهواء يبدأ من أسفل إلى أعلى مثلما ذكره القدامى وبعض المحدثين فالمنطق والدراسات العلمية المخبرية تبرهن صحة هذه النظرية،

فالمخارج هي المخرج النهائي الذي يخرج منه الصوت ويتلون ويَقصد بوابة الشفتين، فالأصوات عنده تبدأ من الرئتين نحو الشفتين

النتائج:

يظهر جليا بأن صبحي الصالح من المحافظين على التراث العربي، والدليل في ذلك أنه انطلق من القديم، لصحته والدليل في ذلك أنه بدأ بحثه عن الحقيقة من الخليل وركز جيدا على سيبويه، والذين جاؤوا بعده، فهو يعارض بعض المحدثين في تأثرهم ببعض المناهج الغربية وتطبيقها على اللغة العربية، واستعمالهم لمصطلحات دخيلة أجنبية معربة، حيث يراهم كلفوا أنفسهم بالجديد والتجديد من أجل التجديد، وأنهم قد أخلطوا خلطا في تحديد مخارج الحروف رغم أنهم يعترفون بأن في بعض المرات يقرُّون بفضل القدماء وذكائهم وقوة ملاحظاتهم في تحليل القضايا الصوتية ....

أن صبحي الصالح وزع الأصوات العربية على عشرة مخارج ورتبها ترتيبا تصاعديا أي من الحلق إلى الشفتين.

يبدو أن مسألة ترتيب وتوزيع الحروف مسألة شكلية فالتداخل بين مواضع النطق وصعوبة تحديده أدى إلى هذا اللبس والإختلاف بين علماء اللغة.

يمكن القول أن هناك تطور في الأصوات العربية التي تغير نطقها فنطق اللغة العربية في زمان الخليل وسيبويه ليس نفسه في وقتنا الحالي.

أن القدماء كانوا يعتمدون على الحس والتذوق في معرفة مواضع النطق، أما المحدثون فاعتمدوا كثيرا على الوسائل الحديثة.

وعلى ما يبدو أيضا أنه متأثر بما أنتجته قرائح علماء اللغة العربية القديمة، فلم أجده يستعمل الكلمات المعرَّبة مثل الفونيم والمونيم والفونيتيكا...، ولعله يريد أن يقول كيف لي أن أستعملها ولغتنا غنية بالمصطلحات، عكس بعض الباحثين والدارسين المحدثين الذين استوردوا لنا العديد من المصطلحات اللغوية في الدراسات اللسانية حتى وقعنا في فوضى المصطلح.

هوامش الدراسة:

1 ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج2، ص 57.

2 ينظر: كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2000، ص26 و27.

3 ينظر: المرجع السابق، ص131.

4 ينظر: المرجع السابق، ص132 و133.

5 تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1974، ط2، ص65.

6ابن مظور، أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1992م، مادة (خرج)، ج2، ص249، وينظر: لسان العرب (خرج) ج2، 249.

7 إبراهيم أنيس،الأصوات اللغوية، مطبعة نهضة مصر، مصر، دت، دط،107، 122.

8 صلاح حسين، المدخل في علم الأصوات المقارن، توزيع مكتبة الآداب، 2005-2006، ص25.

9 أبو عمرو عثمان بن سعد الداني، المحكم في نقط الحروف، تح: عزة حسن، دار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان،1997، ط2، ص6 و7.

10عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، منشورات المكتبة العصرية، صيدا – بيروت – ص 36.

11 عصام نور الدين، علم الأصوات اللغوية (الفونيتيكا)، دار الفكر اللبناني –بيروت- لبنان، ص217.

12العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السمرائي، ج1، تح المخزومي + السمرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت-لبنان، ص47.

13 أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، ج1، تح: عبد السلام هارون ومحمد علي النجار، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، ص48.

14 عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، تح: محمد أحمد جاد المولى بك وآخرون، منشورات المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ص90.

15 الخليل بت أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخززومي وإبراهيم السامرائي، ج1، ص58

16سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج4، ط2، 1982م، مكتبة الخانجي بالقاهرة، دار الرفاعي بالرياض، ص431.

17المرجع السابق، ص433.

18 العين، ج1، ص58.

19 أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، ج1، ص48.

20 كتاب العين، ج1، ث46.

21 صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، لبنان، 2009، ط3، ص 277.

22 المرجع السابق، ن ص.

23 المرجع السابق، ص278-280.

24 محمد مبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1964، ط2، ص46 -48.

25 المرجع السابق، ص48.

26 تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1990، ط1، ص124.

27 عبد الرحمن أيوب، أصوات اللغة، مطبعة الكيلاني، 1968، ط2، ص 199.

28 سمير شريف إستيسية، الأصوات اللغوية –رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية- دار وائل للنشر، 2003، ط1.

29 محمد الأنطاكي، دراسات في فقه اللغة، دار الشرق العربي، بيروت، 1969، ط4، ص142.

30 كمال بشر، علم الأصوات، ص189.

31 المرجع السابق، ن ص.

32 المرجع السابق، ص183.

33 تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1990، ص124.

34 دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو، ترجمة صالح القرمادي، نشريات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس 1966، ص22.

35 محمد الأنطاكي، دراسات في فقه اللغة، ص142.

36 كمال بشر، علم الأصوات، ص189.